يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمني حين يخرج الله المومنين من النار عن ابي
موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة
قال الكفار لمن في النار من اهل القبلة الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار
قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيامر لكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون
منها حينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال ذهب اليه ابن عباس في رواية
عنه وانس بن مالك ومجاهد وعطا وابو العالية وابراهيم النخعي **فان قلت** رب
انما وضعت للتقليل وتمني الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولك لعلك ستندم على فعلك وربما
ندم الانسان على فعله ولا يشكون في ندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا
فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلا يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما
يتحرزون من اليقين ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل ابلغ في التهديد
ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف كثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب
لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم **فان قلت** رب لا تدخل الا على الماضي
فكيف قال ربما يود الذين وهو في المستقبل **قلت** لان المترقب في اخبار الله تعالى
بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه كانه قال رب ما ود وقال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا يعني
يا محمد دع هولا الكفار ياكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها ويلههم الامل يعني ويشغلهم طول الامل عن
الايمان والاخذ بطاعة الله فسوف يعلمون يعني اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا
فيه تهديد ووعيد لمن اخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم ياخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال
بعض اهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد اخر فمتى يهني العيش بين تهديدين وهذه الاية
منسوخة باية القتال وفي الاية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم في الدنيا يودي الى طول الامل وذلك
من اخلاق المومنين قال علي بن ابي طالب انما اخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول
الامل ينسي الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وما اهلكنا من قرية واراد اهلاكها الاستيصال الا ولها
كتاب معلوم اي اجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتاخر عنه ولا ياتيهم الا في الوقت
الذي حد لهم في اللوح المحفوظ ما تسبق من امة اجلها من زايدة في قوله من امة كذلك جاءني من احد وقيل
هي على اصلها لانها تفيد التبعيض لهذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي اكد ومعنى الاية ان الاجل
المضروب لهم وهو وقت الموت او نزول العذاب لا يتقدم ولا يتاخر وهو قوله وما يستاخرون وانما ادخل
الهاء في اجلها لارادة الامة واخرجها من قوله وما يستاخرون لارادة الاجال قوله عز وجل وقالوا يعني مشركي
مكة وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعني القران واراد به محمد صلى الله عليه وسلم انك لمجنون انما نسبوه
الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عليه عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك
جنونا فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه الى
الجنون ولما كانوا يستبعدون قوله رسولا من عند الله واوتي بهذا القران العظيم انكروه ونسبوه الى
الجنون وانما قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزا وقيل معناه يا ايها الذي نزل عليه الذكر
في زعمه واعتقاده واعتقاد اصحابه واتباعه انك لمجنون في ادعايك الرسالة لوما قال الزجاج والفرا لوما ولولا

لغتان

لغتان ومعناهما هلا ما تاتينا بالملايكة يعني يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا ان كنت من الصادقين
يعني في ادعايك ما ننزل الملايكة الا بالحق يعني بالعذاب ووقت الموت وهو قوله وما كانوا اذا منظرين
يعني لو نزلت الملايكة اليهم لم يمهلوا ولم يوخروا ساعة واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطلبون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم انزال الملايكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال
عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يومنوا وبعيد قوله انا نحن نزلنا الذكر يعني القران انزلناه عليك
يا محمد انما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله عز وجل انه
هو الذي انزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم وانا له لحافظون الضمير في له يرجع الى الذكر يعني وانا
للذكر الذي انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير
والتبديل والتحريف فالقران العظيم محفوظ من هذه الاشيا كلها لا يقدر احد من جميع الخلق من الجن
والانس ان يزيد فيه او ينقص منه حرفا واحدا او كلمة واحدة وهو مختص بالقران العظيم بخلاف ساير الكتب
المنزلة فانه قد دخل في بعضها التحريف والتبديل والقران العظيم محفوظ من هذه الاشيا كلها والزيادة
والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة
والنقصان قال ابن السايب ومقاتل الكناية في له راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم
يعني وانا لمحمد لحافظون ممن اراده بسو فهو كقوله والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول
ان الله تعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن
صرف الكناية فكان التنزيل امرا معلوما الا ان القول الاول اشهر واصح وهو قول الاكثرين
لانه اشبه بظاهر القران وهو الاصح واختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقران فقال بعضهم
حفظه بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم
لو زادوا النقصان فيه الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل من المعارضة
فلم يقدر احد من الخلق ان يجاريه وقال اخرون بل اعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من
الوجوه فقيض الله له العلما الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى اخر الدهر لان دواعي جماعة من
الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى قوله تعالى ولقد ارسلنا
من قبلك في شيع الاولين لما جرى من كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة
وهو قولهم انك لمجنون واساوا الادب عليه فاخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
ان عادة الكفار في قديم الزمان مع انبيايهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على اذى
قومك بجميع الانبيا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الاية محذوف تقديره ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في شيع
الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفرا الشيعة هم الاتباع وشيعة
الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وينشرون عنه فقوله في شيع
الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف كذلك نسلكه في قلوب المجرمين السلوك النفاذ
في الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشي في الشي كادخال الخيط في المخيط ومعنى
الاية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزا في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه في قلوب
المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي اية بينة في ثبوت القدر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)